ارادة الحياة اقوى !

نظرة حزب العمل الاشتراكي العربي الى لبنان الحاضر والمستقبل

وجهت جريدة اللواء البيروتية الاسئلة التالية الى حزب العمل الاشتراكي العربي:

س ١ ـ كيف كانت مشاركتكم في التصدي لمؤامرة الفتنة الرجعية الانعزالية، وفي اي اطار ؟

٢ ـ لا شك ان المرحلة الحالية هي من اخطر المراحل التي يمر بها لبنان حيث لا تزال الاوساط الرجعية تسعى لتمييع الوجه الاجتماعي الحقيقي للازمة . فكيف تنظرون الى اسباب الازمة الحقيقية ، وكيف ترون الحل ؟

٣ ـ ما هو المقياس الذي يحدده ، في رايكم ، مدى وحدود استمرار حالة الاستقرار والهدوء النسبي الحالية ؟

٤ ـ لبنان المستقبل كيف تنظرون اليه؟

وفيما يلي تنشر « الهدف » الاجابات عليها :

ج ١ ـ ان الهجمة الرجعية الفاشية التي نظمها وقادها العملاء الذين يرتبطون مصيريا بالرأسمال الاجنبي والامبريالية ، ويتبعون سياسة تحول بين لبناننا وبين اداءه لواجباته باعتباره بلد مواجهة ، مما يخدم اسرائيل ويلحق الضرر الفادح بشعبنا الصامد في الجنوب وبالقضية العربية ، ان هذه الهجمة الشرسة التي استهدفت المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية في آن معا ، قد وضعت جميع الاحزاب والمنظمات والعناصر الوطنية والتقدمية بدون استثناء امام واجب الدفاع عن الشعب الذي اراد العملاء اسكات صوته الذي ارتفع من اجل مطالبه المتواضعة والضرورية .

ومن منطلق الشعور بالمسؤولية واداء الواجب الوطني ، فقد كانت مشاركة حزب العمل الاشتراكي العربي فعالة وفي مختلف المجالات ، وخاصة المجال العسكري ، اذ كان رفاقنا في طليعة ابناء شعبنا الابي يردون العدوان ويذودون عن الاحياء الفقيرة التي تعرضت لنيران العملاء الفاشيين الحاقدين . وقد لعب حزبنا دوره ضمن صفوف الحركة الوطنية في مختلف انحاء لبنان ، في صور والقرى الجنوبية وصيدا واقليم الخروب وبعلبك والبقاع وطرابلس وعكار وبيروت بمناطقها المختلفة ، وفي بقية المناطق والاحياء وخاصة في طرابلس حيث لعب الحزب دورا مشهودا في الدفاع عن ابناء شعبنا الذي تعرض لرصاص الزمر الفاشية ، وفي بعلبك والبقاع حيث لعب رفاقنا دورا مميزا ، وكذلك في بيروت اذ كان للحزب دورا قتاليا كان موضع تقدير ابناء مناطق بيروت وخاصة في منطقة الشياح التي صمدت بوجه القصف الهمجي بعد « بيان ابو عمار » الذي اثار استغراب الجماهير .

ان حزبنا ، رغم امكانياته المتواضعة بالقياس لطموحه ولرغبته في التعامل مع القوى الرجعية الفاشية باللغة التي تفهمها ، سوف يبقى واضعا يده على الزناد لردع الاعتداء من اية جهة صدر سواء جاء من الاحزاب الفاشية ام من السلطة الرجعية ، اذ كلاهما يكمل بعضه .

ج ٢ ـ اننا نشاركم التقدير بكون لبنان يمر بمرحلة دقيقة وخطيرة بسبب رفض الفئات الرأسمالية المحتكرة الاستجابة لمتطلبات الحياة المستجدة، فضلا عما سببته موجة الغلاء التي احدثت عجزا كبيرا بمدخولات ابناء الطبقات الكادحة وخاصة العمال والفلاحين الفقراء . ومعلوم ان ارتفاع الاسعار يعود بفائض قيمة مرتفعة وارباح متعاظمة على الرأسماليين بحيث تزداد ثرواتهم على حساب الغالبية الساحقة من ابناء شعبنا . وهم حين يفتعلون الاصطدامات والمجازر ضد المقاومة الفلسطينية ، انما يحاولون نقل المعركة من ميدانها الاقتصادي الاجتماعي الى ميدان سياسي يمكنهم ذرف دموع التبرير على سيادة « لبنانهم » و « نظامهم » من جهة وان يجعلوا الجماهير اللبنانية وقواها التقدمية والوطنية منشغلة بمواجهتهم عن الاسهام بما يدور في الساحة العربية. ولعل افتعال مجزرة عين الرمانة في وقت ضاقت فيه الولايات المتحدة ذرعا بالحملة المضادة لوجود كيسنجر في وطننا يعطينا دليلا على ان الرجعيين العملاء لا يريدون للبنان ان يلعب دوره النضالي ضد الامبريالية والرجعية والصهيونية ، كما ان اصرارهم على استمرار المعارك الدامية بعد ذلك ، رغم شعورهم بالعجز عن بلوغ غاياتهم الخبيثة ، يرجع الى التعليمات التي تلقوها بضرورة تغطية ما دار في اجتماع سالزبورغ ، لكي تتم عملية اخراج التسوية وفقا للاسلوب المعد لها من جهة اخرى .

ولا بد ان ندرك ان القوى الرجعية العميلة الفاشية تريد من وراء افتعالها للحوادث وارتكابها للمجازر الدموية ان تطرح قضية وجود المقاومة الفلسطينية في لبنان على بساط البحث ، لكي تجعل من التسوية السياسية التي تخطط لها اميركا وتنفذها خطوة خطوة ، تسوية للقضية الفلسطينية ولوجود المقاومة في لبنان ايضا من جهة ثالثة .

هذه الاسباب مجتمعة كانت تدفع اهل النظام الفاشيين لان يواصلوا افتعال الصدامات والمجازر ضد المقاومة والحركة الوطنية ، بيد ان اسباب الازمة الحقيقية تكمن في طبيعة النظام وتطورات

الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وما ظاهرة الارهاب الدموي الا مظهرا من مظاهر الازمة الحقيقية التي يعيشها نظام ال ٤ ٪ ودليلا صارخا على عجز الطبقات الرجعية عن ايجاد الحلول المناسبة لازمة نظامها الفاسد المهترىء .

اذا علمنا بان الفاشية ، حالة تبلغها العناصر الرأسمالية المحتكرة الموغلة في رجعيتها وشوفينيتها، حين تضطر تحت ضغط التطورات ووعي الجماهير وتصاعد كفاحها من اجل مطالبها ، لان تمارس ارهابا مكشوفا بغية قمع حركة الجماهير وايقافها عند حدها .. اذا علمنا بان البرجوازيين المحتكرين يلجاون الى السلوك الفاشي حين يجدون ان وسائل القمع التقليدية التي تتبعها الاجهزة البوليسية ، لم تعد كافية لمكافحة حركة الجماهير التي يطلقون عليها صفة الشيوعية كما فعل اهل النظام اللبناني حين ملأوا الدنيا صراخا بخصوص سقوط لبنان باحضان الشيوعية ، طبعا انهم يدجلون لانهم يعلمون ان لبنانهم ما زال بعيدا عن نهايته ليس لصلابة مقوماته وحيثيات وجوده وانما بسبب عدم وجود الحزب الشيوعي الثوري الذي يجعل من تخرصات الرجعيين العملاء حقيقة ملموسة ، يتغير معها لبنان شكلا وموضوعا ، بعد ان يتحرر من الوجوه الكالحة التي تشوه رونقه وجماله وتستنزف طاقات عماله وفلاحيه ومثقفيه وجميع ابنائه الراغبين في التحرر من نير الرجعية المقيت ، اذا علمنا ذلك فاننا ندرك ان الفاشيين من اهل النظام قد ادانوا وجود نظامهم حين لم يجدوا وسيلة غير السلاح ردا على مطالب الجماهير العادلة . لقد وصلت تطورات المجتمع درجة اصبحت معها المتطلبات الضرورية لحياة المواطن العادية تشكل عبئا لا طائل لاهل النظام القائم على النهوض به ، لذلك فانهم حين يضطرون لكشف زيف ديمقراطيتهم ومضمون نظامهم الطائفي ويحلون الارهاب محل الحرية والقمع محل الديمقراطية ، انما يعترفون مرغمين على انهم اول من يضع الحراب على جدول التعامل مع الجماهير من جهة ، وانهم عاجزون عن توفير فرص العمل والحرية والحياة اللائقة للانسان اللبناني من جهة اخرى ، الامر الذي يلقي على عاتق الاغلبية الساحقة من شعب لبنان ان تنهض باعباء توفير مستلزمات الحياة التي تريدها ، وفي مقدمة هذه الاعباء يأتي تحرير الوطن من العصابات الفاشية وعملاء الامبريالية الذين يعبثون بوطننا وبمقدرات شعبنا من جهة ثالثة .

ج ٣ ـ لا شك في ان هناك مقاييس عديدة ، اذ انها تختلف من جهة لجهة وفقا لتصورها لمضمون الاستقرار ولكن طالما ان السؤال يتعلق بالظرف الراهن ، فحزبنا يعتقد ان اهل النظام، اذا ارادوا ان تستمر الحالة القائمة ، فعليهم ان يتجنبوا استفزاز الجماهير ويبرهنوا على انهم باتوا مقتنعين بعدم جدوى القمع وسيلة لتركيع الجماهير وقواها التقدمية . بيد اننا نعتقد ان توزيع الحقائب الوزارية بالشكل الذي تم لن يديم حالة الاستقرار، ذلك ان مجيء كميل شمعون للداخلية يعني ان الهدف الذي عجزت مدافعهم عن تحقيقه سيحاول وزير الداخلية تحقيقه بذريعة الامن واستتبابه ، في وقت لن يكون « الافندي » اكثر من واجهة لا يدري ماذا يدور من خلفه . ولعل بيان قيادة الجيش الذي صدر يوم امس دون علم دولته به يكشف ان هالة القوة والشخصية القوية التي حاول التظاهر بها ، تخفي وراءها واحدا من الوجوه التقليدية التي ياتون بها لتؤدي دورها ، تماما مثلما فعلوا مع صائب سلام والحافظ والصلح الاول والثاني والرفاعي واليوم ياتي دور آخر من تبقى بجعبة النظام من رجال اكل الدهر عليهم وشرب لكي يكتشف الناس ان رشيد كرامي لم يكن افضل من سواه لا من حيث تهالكه على المنصب ولا من حيث كونه واجهة للسلطة الحقيقية التي لم تعد الجماهير تحتمل وجودها البغيض .

ج ٤ ـ ان هدفنا الاستراتيجي البعيد ، هو اقامة مجتمع اشتراكي لا طبقي ، مجتمع يحكمه مبدأ من لا يعمل لا ياكل ، ويتم التوزيع فيه على اساس مبدأ من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله ، بيد ان المجتمع الاشتراكي الذي نناضل من اجل اقامته ، لا يقوم على انقاض المجتمع الراهن ، بل لا بد من مجتمع وسيط بينهما ، مجتمع انتقالي تحققه الثورة القادمة التي هي ثورة وطنية ديمقراطية رغم طبيعة المجتمع الراهن الرأسمالية .

ان المجتمع الاشتراكي مجتمعا يتحرر فيه الانسان من الاستغلال ، ويحكم حركة تطوره (قانون الترابط الضروري بين علاقات الانتاج ونمو قوى الانتاج) ويتميز اقتصاده بكونه اقتصادا تلعب الخطة فيه دور العامل المقرر بعكس الاقتصاد الرأسمالي الذي تحكمه ارادة الافراد الذين تؤول اليهم صلاحية اتخاذ القرارات النهائية . ولذلك فانه اقتصاد متحرر من الامراض التي يعانيها الاقتصاد الرأسمالي.

ان علاقات الانتاج الرئيسية هي علاقات انتاج رأسمالية ، وهي تطبع المجتمع القائم بطابعها العام، لذلك فان المجتمع اللبناني ـ القائم هو مجتمع رأسمالي . ولكن اذا ما اخذنا طبيعة العلاقات الرأسمالية السائدة ، وهي علاقات تبعية وتخلف وان دخولها للريف اللبناني ، قد ادخل الى القطاع الزراعي معوقا جديدا اضيف الى المعوقات الناتجة عن وجود العلاقات الاقطاعية . ومعنى هذا ، ان دخول العلاقات الرأسمالية الى الريف لم يتم عن طريق الصراع بين الرأسماليين والاقطاعيين ، وانما تم عن طريق التحالف والتعايش بينهما ، الامر الذي جعل دخول العلاقات الرأسمالية عائقا يحول دون تقدم الريف ، بدلا من ان يؤدي الى تحطيم نير العلاقات الاقطاعية ، وتحرير القوى المنتجة من قيود التخلف تحريرا يدفعها نحو افاق التقدم والتطور . لذلك افضى دخول العلاقات الرأسمالية الى تكريس التناقض القائم بين علاقات الانتاج والقوى المنتجة في الريف وتعميقه .

ومعنى هذا ان العلاقات شبه الاقطاعية ما تزال قائمة في الريف اللبناني رغم دخول العلاقات الرأسمالية الى الريف ، وهذا يعني ايضا ان جزءا من المجتمع اللبناني ما يزال يعيش في ظل علاقات غير رأسمالية. لذا ونظرا لطبيعة العلاقات الرأسمالية وكون الاقتصاد اللبناني اقتصاد خدمات ولوجود العلاقات شبه الاقطاعية ، فان الثورة القادمة ليست ثورة اشتراكية رغم طبيعة المجتمع الرأسمالية .

ان تحديدنا لطبيعة المجتمع اللبناني باعتباره مجتمعا رأسماليا ، لن يغيب عن وعينا ولم يحل بيننا وبين الوقوف امام سؤال هام ، لا بد ان نجيب عليه اذا ما اردنا لنضالنا ان يكون واعيا لطبيعة ما هو كائن ، والبديل الذي ينبغي ان يكون، وهذا السؤال هو :

اذا كان المجتمع اللبناني ، رأسماليا ، فما هي طبيعة الثورة القادمة التي ستحمل البديل ؟

ان الحقيقة التي توصلنا اليها ، تؤكد على ان الثورة القادمة اذا ما اخذنا الظروف الراهنة بعين الاعتبار لن تكون ثورة اشتراكية وانما هي ثورة وطنية ديمقراطية ، لان دخول العلاقات الرأسمالية الى الريف اللبناني ، لم يحل التناقض الاساسي بين علاقات الانتاج وقوى الانتاج في الريف ، بل على العكس ان دخولها قد كرس ذلك التناقض وعمقه ، مما جعل العلاقات الرأسمالية تشكل عائقا جديدا كرس التناقض بين الفلاحين وبين الاقطاع السياسي، وفضلا عن هذه الحقيقة الهامة ، فان طبيعة الاقتصاد اللبناني لا تسمح بالحديث عن ثورة اشتراكية ، خاصة اذا علمنا بان اكثر من ثلثي الاقتصاد اللبناني يرجع الى قطاع الخدمات ، الذي هو قطاع مرتبط بالرأسمال الاجنبي وتابع له .

ان الثورة القادمة مطالبة بان تحرر الاقتصاد اللبناني من نير التبعية للرأسمال الاجنبي وان تحل التناقض بين علاقات الانتاج وقوى الانتاج لكي يحل محله ، التوافق بين علاقات الانتاج ونمو قوى الانتاج وان تبنى القاعدة المادية التكنيكية للشروع بالثورة الاشتراكية القائمة على اساس من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله ، ومن لا يعمل لا ياكل .

ان تحديد طبيعة الثورة اللبنانية ، امر على غاية من الاهمية ، اذ بدونه لا يمكن تحديد القوى المحركة للثورة . وعلى سبيل المثال ، فلو كانت طبيعة الثورة التي نناضل من اجل احداثها ، ثورة اشتراكية ، لاصبحت الطبقة العاملة هي الطبقة الوحيدة المحركة للثورة وهذا الامر يعني ان الطبقة العاملة تشكل اغلبية السكان ، في مجتمع رأسمالي دور الفلاحين في احداث الثورة فيه محدودة بحدود دورهم في التغيير الذي يقع عباء الاكبر على الطبقة العاملة ، بينما الامر مختلف حين تتحدد طبيعة الثورة بانها ثورة وطنية ديمقراطية ، في بلد يشكل الفلاحون وسائر فئات البرجوازية الصغيرة، غالبيته الساحقة وما الطبقة العاملة الا اقلية فيه . وفضلا عن الدور الهام للفلاحين نتيجة للنسبة الكبيرة التي يشكلونها في تكوين المجتمع ... فضلا عن ذلك فان فئات عديدة من البرجوازية الوطنية يتحتم اشراكها ان لم يكن في احداث الثورة ، فعلى الاقل في خطة التصنيع التي يفترض وضعها من قبل العهد الجديد .

من هنا يصبح بامكاننا القول ان القوى الطبقية المحركة للثورة اللبنانية تتمثل بالطبقة العاملة والفلاحين الفقراء والبورجوازية الصغيرة في المدينة وفي الريف ، اي المزارعين المتوسطين والصغار وسائر الذين لهم مصلحة في تحقيق التغير الجذري في مجتمعنا .

هذا هو لبنان المستقبل ، الذي نتصوره ونناضل من اجل تحقيقه !

●●